إعـــداد: أ . د
نـــادية ســعيد عيشـــور

محاضرات في مقياس النظرية السوسيولوجية02

السنة الثانية علم الاجتماع

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2

النظرية السوسيولوجية

في مرحلة ما بعد الحداثة

(Modernisation / Modernité)

مدخـــل

بوصف الحداثة وما بعد الحداثة وصفان لمراحل معينة في مسيرة عمر تطور البشرية وبالتحديد ضمن مجال زمكاني محدد (القرنين الأخيرين، العشرين والواحد والعشرين، الألفية الثانية والألفية الثالثة)، ابتداء من عصر النهضة في العالم الغربي إلى نهاية القرن العشرين (أوربا الغربية وأمريكا الشمالية)، فإنهما مرتبطان أيضا بمسيرة دور ومهام ووظائف علم الاجتماع في المنطقة ذاتها وفي خضم هذه الفترة تحديدا، لذلك كان لزاما أن تكون فكرة الحداثة وما بعد الحداثة موضع لاهتمام مركزي وجاد للعديد من الباحثين المعاصرين في علم الاجتماع ولا سيما في الغرب تطبع أعمالهم الفكرية لأنها تواكب قضايا مجتمعاتهم الحاضرة.

لقد "ظلت الحداثة واثقة من نفسها بل مغرورة بذاتها حتى عام 1914 تاريخ اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثم تلتها بعدئذ بعشرين سنة فقط الحرب العالمية الثانية (1939-1945)عندئذ تلقت الحداثة الغربية ضربات موجعة على الرأس لم يكن أحد يتوقعها. فقد كنا نتوقع أن تقدم العلم مستمر إلى ما لانهاية، وكذلك تقدم الحضارة والتمدن والرقي، كنا نتوقع بأن العقل قد أصبح سيد الموقف بشكل لا رجوع عنه، وأن البشر لن يلجؤوا إلى سلاح الهمجية لحل خلافاتهم بعد الآن. وفجأة تنفجر الأهواء الهائجة والعصبيات القومية فتدمر حضارة رائعة كان بناؤها قد استغرق ثلاثة قرون متواصلة. هنا نجد أن الفلسفة الهيغلية تبدو عاجزة عن تفسير الموقف. فعقل التنوير أثبت فشله في القضاء على الغرائز الأنانية والوحشية المتجذرة في أعماق الإنسان. ولذا راحت الأهواء اللاعقلانية تكتسح أكثر الأمم البشرية تقدما ورقيا كالأمة الفرنسية والألمانية والإنجليزية وغيرها. وهكذا فقد عصر التنوير سيادته المطلقة التي كان يتمتع بها سابقا، بل وأخذت الشكوك تحوم حوله وكذلك الانتقادات.[1]

انطوني غيدنز: "إن فكرة "البعد حداثة" لجان فرانسوا ليوتار ترى أننا دخلنا في عهد جديد، بسبب غياب "السرديات الكبرى" ونهاية الايمان بالتقدم، بمستقبل أفضل، بالقدرة الكلية للعلم وللعقل. غير أن هذا لا يعدو كونه نظرة جزئية جدا عن عصرنا. وإذا ما سعينا إلى فهم مجتمعاتنا على مدى طويل، وبشكل اجمالي، فإننا نتوصل إلى تصوير آخر للأمور، من جهتي أعتقد أننا نعيش فترة "تحول جذري" للحداثة. نشاهد أولا توسع الرأسمالية وعولمتها على صعيد الكرة الأرضية، ثم، أن هذا التبدل يترافق مع ظهور اقتصاد المعلومة ومع الانقلابات المرتبطة بانطلاقة العلم والتكنولوجيا. أخيرا نشاهد في نهاية القرن 20، انتشار المثل الديمقراطية على كامل الأرض تقريبا، من باب الجاذبية على

[1] هاشم صالح، **من الحداثة الى العولمة**، مرجع سابق، ص 73

الأقل، تظل هذه الميول الثلاثة كما يبدو لي، القوى الكبرى التي تقود المجتمعات؛ إنها محركات الحداثة...اعتقد أننا نعيش في مرحلة انتقالية، نحو مجتمع كوسموبوليتي شامل، ومدفوع بقوى السوق وبالتغيرات التكنولوجية والتغيرات الثقافية"[1]

لقد عكست النظرية السوسيولوجية في مرحلة ما بعد الحداثة تغيرات بنائية في مضمون الأهداف التي كانت تنشدها في ظل ظروف تاريخية وبنائية جد خاصة، عكست هي بدورها (الظروف) طبيعة التغيرات التي أصابت البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والبيئية بصورة عامة. وتوصف عادة هذه المرحلة بالنمط الاستهلاكي، نظرا لانتشار ثقافة الاستهلاك غير المعقول، كنتيجة لدور الإشهاري والترويجي لوسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، التي ترتبط بشكل أو بآخر بالدور المركزي للنظام الرأسمالي، فهناك من يربط بين **الرأسمالية والفكر والفعل الحداثي** أو خصوصية الحداثة في الفكر الماركسي حيث يقول مصطفى خلف جواد: "للماركسيين بصفة عامة رأي مبتذل بشأن الثقافة في المجتمع الرأسمالي، ذلك المجتمع الذي صار الآن مجتمعا كونيا في جوانب رئيسية عديدة. ويزعم الماركسيون من أمثال جيمسون أن إيديولوجية النزعة الاستهلاكية مكنت الرأسمالية من استمالة الناس- حتى الفقراء منهم- إلى النظام الرأسمالي. بل إن الذين تستغلهم الرأسمالية زرعت فيهم الأمل في الإشباع الاستهلاكي من خلال وسائل الإعلام. ويميل الماركسيون –في حوارهم المحموم مع النظرية ما بعد الحداثة- إلى الادعاء بأن الأمور يمكن أن تتغير، بل وينبغي أن تتغير، إلا أنهم يزدادون حيرة حول كيفية حدوث ذلك"[2].

مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة:

فما هي الحداثة؟ إنها مشروع تحديث يقوم أساسا على العلم والتقنية، في رؤية عقلانية تتغلب فيها الثقافة على الطبيعة ويصبح الإنسان فيها مركزا للكون ومصدرا للقيم، تلك الرؤية التي أحدثت قطيعة بين الإنسان وماضيه، عن طريق ضبط عقلاني للتطور العلمي – التقني. وباختصار فالحداثة تشير إلى مجمل عمليات التحديث التي تقوم على فعاليات تراكمية يدعن بعضها بعضا، تتجه بحسب ماكس فيبر، نحو نمو علمي وفني وسياسي واقتصادي في درب العقلنة الذي اختص به الغرب، الذي يربط وجوده رابط داخلي، لم يكن عرضا، وانتج بدوره علمنة الثقافة وعقلنتها، بالتوازي مع نمو المجتمعات وقواها المنتجة وزيادة انتاجية العمل وتمركز السلطات السياسية، وكذلك تشكيل الهويات الوطنية ومبادئ حقوق الانسان"[3]

عرف ألان توران الحداثة بقوله: "أنها تعني انتصار العقل وإحلال العلم محل اللاهوت المسيحي داخل المجتمعات الأوروبية، فالعقل هو الذي يوجه العلم وتطبيقاته على أرض الواقع. وهو الذي ينظم المجتمع بطريقة مناسبة لإشباع حاجيات أفراده وإسعادهم. وهو الذي يحل دولة القانون والمؤسسات محل دولة الاعتباط والامتيازات والرشاوي والمحسوبيات. وجوهر الحداثة الحرية: أي

[1] فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، مرجع سابق، ص168
[2] - مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص: 178.
[3] ابراهيم الحيدري، المرجع السابق، ص 256-257

حرية التفكير والتعبير واستقلالية الضمير البشري بالقياس إلى كل العقائد الدوغماتية المفروضة عليه من فوق، غصبا عنك وبدون أي نقاش"[1]

بدأت الحداثة، بحسب هيغل، مع عصر الأنوار بفعل أولئك الذين أظهروا وعيا وبصيرة باعتبار أن هذا العصر هو حد فاصل، أو مرحلة نهائية في التاريخ، غير أن القوي المحركة للتحديث تبدو الآن مختلفة، فالعلم والتقنية تحولا إلى أيديولوجية وأخذا يشكلان من الآن فصاعدا نظاما شموليا أكثر تعقيدا، وضمن شكل معرفي مفارق، ترك بعض المفكرين ينظرون إلى الحداثة في طورها المتأخر وكأنها تكاد تنفصل عن العقلنة وتتجاوز ما ادعته لنفسها من تراث عقلي" [2]

"كانت الحداثة قد تمزقت ..بانهيار سلطة التطبيع، وتوسع الإنتاج المادي، وإمكانية فهم الحياة الاجتماعية على أنها علاقات بين موضوعات...بكلمات أخرى كانت الحداثة حقبة السلطة وإنتاج السلع، في حين أن ما بعد الحداثة هي حقبة العلامة وإغواء المستهلكين، وبنية العلاقات الآن هي بين علامات. الناس 'يكتسبون مظاهـر' في ثقافة – تقنية من حقيقة 'مفرطة' حيث يستعاض عن الاهمية بتمدّية ولا نعرف إلا صورة زائفة عن تجربة جماهيرية"[3]

كما أن للماركسيين بصفة عامة "رأي مبتذل بشأن الثقافة في المجتمع الرأسمالي، ذلك المجتمع الذي صار الآن مجتمعا كونيا في جوانب رئيسية عديدة. ويزعم الماركسيون من أمثال جيمسون أن إيديولوجية النزعة الاستهلاكية مكنت الرأسمالية من استمالة الناس- حتى الفقراء منهم- إلى النظام الرأسمالي. بل إن الذين تستغلهم الرأسمالية زرعت فيهم الأمل في الإشباع الاستهلاكي من خلال وسائل الإعلام. ويميل الماركسيون –في حوارهم المحموم مع النظرية ما بعد الحداثة- إلى الادعاء بان الأمور يمكن أن تتغير، بل وينبغي أن تتغير، إلا أنهم يزدادون حيرة حول كيفية حدوث ذلك"[4].

علم الاجتماع والتقليدية والحداثة وما بعد الحداثة (الحداثة المتأخرة/ الحداثة الانعكاسية)

نحن نعيش في عصر "الوضعية والصناعة الثقافية" (تيودور أدورنو) هكذا فإن علم الاجتماع الوضعي يتناسب مع هذا العصر، يعني مع عصرنا[5]. قد يحمل هذا التصريح بين جنباته قدرا من التفاؤل، إذ يسيطر فيه منطق العقلنة والعلمنة، هذا الذي تغنّى به الرواد الأوائل لعلم الاجتماع وعلقوا آمال مشاريعهم الفكرية على تجسيده، كما هو في التصور السياسي، بل ومناشدة تمريره وتعميمه بوصفه النموذج " التقدم الانساني" المجسد للفعل الحضاري " وتصديره إلى خارج الحدود الجغرافية لمحيط النشأة الى حيث يجب ان تسود العدالة والمساواة والحرية. إن **الحداثة/التحديث**

---

[1] هاشم صالح، **من الحداثة الى العولمة، رحلة في الفكر الغربي. وأثرها في الفكر العربي**، الطبعة الاولى، كتاب العربية، الرياض، ص8.

[2] ابراهيم الحيدري، ص257

[3] كريغ كالهون: **النظرية الاجتماعية النقدية، ثقافة الاختلاف، وتاريخه، وتحديه**، ترجمة مروان سعد الدين، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012، ص199.

[4] مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص: 178.

[5] يان سبورك: **أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي**، ترجمة: حسن منصور الحاج، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2009، ص: 14

(**M**odernisation / **M**odernité)[1] بالنسبة لآباء المؤسسين للسوسيولوجيا، يفترض الانتقال من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الصناعية حلا لطرق تنظيم المجتمعات التقليدية. فالدين والهيئات المهنية والجالية القروية والحرف والوجهاء، المحليون سيختفون مع التصنيع والتمدن. ستتأثر المدينة الحديثة، والصناعية الكبيرة، والسوق، بأشكال جديدة من الألفة الاجتماعية يكون الفرد فيها مغفلا ومن دون جذور. تصبح العلاقات الاجتماعية غير شخصية. تتبدى بالتباعد وبالرسمية وبالحساب البارد...الخاصة بالعلاقات التجارية والإدارية.[2] **فالتقليدية** [3] هي مجموعة من الممارسات الاجتماعية التي تستهدف الاحتفاء ببعض المعايير والقيم السلوكية وغرسها في ذهن الأفراد وهي معايير وقيم تعني استمرار وتواصلا مع ماض حقيقي أو تخيلي، كما ترتبط عادة ببعض الشعائر أو غيرها من أشكال السلوك الرمزي (الأضاحي القرابين الأعياد المقدسة) التي تحظى بالقبول واسع النطاق. فيما يعرف **ساروب الحداثة**: مصطلح جامع يشير إلى مجموعة من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ظهرت إلى الوجود في الغرب في بعض بلدانه منذ حوالي القرن الثامن عشر وما بعده"

كما أن هناك قدر من الاتفاق في الجوهر بين من يستخدمون مصطلح ما بعد الحداثة[4]، ومن يفضلون مصطلح الحداثة المتأخرة، إذ يتفق كثير من منظري ما بعد الحداثة مع القضايا التي أثارها جيدنز وبيك اللّذين قدماها لوصف الحداثة المتأخرة أو الحداثة الانعكاسية. وإذا كان منظرو ما بعد الحداثة يرون أن المجتمع الغربي المعاصر يعيش الآن في مرحلة ما بعد الحداثة، فإن جيدنز يزعم أن هذا المجتمع لا يزال مجتمعا حديثا، أو أنه في مرحلة متأخرة أو متقدمة من الحداثة.

بالنسبة لعلماء الاجتماع المعاصرين؛ فإن تيمة الحداثة كانت فرصة للعديد من الدراسات[5]:

- ✓ أنتوني غيدنز، عواقب الحداثة 1990،
- ✓ ألان توران، نقد الحداثة 1992،
- ✓ ادغار موران، تحول بلوزفت، 1967،
- ✓ هنري مندراس، الثورة الفرنسية الثانية، 1988،

حيث نجد تيمات النزعة الفردية والتمدن وتقسيم العمل ونطاقات المجتمع.

محاضرات في النظرية السوسيولوجية الحديثة

[1] فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه: **علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية إعلام وتواريخ وتيارات**، ترجمة إلياس حسن، دار الفرقد، الطبعة الأولى، دمشق،2010، ص: 367.

[2] مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص: 141-143

[3] مصطفى خلف عبد الجواد، المرجع نفسه، ص: 141-143

[4] المرجع نفسه ص:152-153

[5] مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص: 141-143

الجدول (1) يوضح الحداثة وما بعد الحداثة:

الحداثة	ما بعد الحداثة
الإيمان بالعلم/العقل	الانعكاسية (الوعي النقدي المتزايد) تميز ما بعد الحداثة؛ أي الاهتمام بالآثار المدمرة للعلم التطبيقي والبيئة والإنسانية. ويمتد الاهتمام إلى المستوى الكوني(ارتفاع درجة الحرارة الأرض ومستوى المخزون من الأسماك..)بالإضافة إلى المستويات الأخرى.
الإيمان بالتقدم الاجتماعي	الوعي المتنامي بالمخاطر والآثار العكسية غير المقصودة لمسيرة التقدم(بيك، جيدنز) (مثلا التلوث الناتج عن السيارات/حوادث السيارات)
ظهور القومية، والنظر إلى الدولة القومية باعتبارها هي حدود المجتمع	حدوث عملية العولمة، وتزايد تصدع الدولة القومية –المجتمع- بفعل العوامل الكونية: الاقتصادية والثقافية والسياسية.
التأكيد على الإنتاج/التنمية الاقتصادية	تزايد أهمية ما هو ثقافي: -تبادل المعلومات (عملية ثقافية تتم من خلال وسائل الإعلام) وهو الملمح المميز لمجتمع ما بعد الصناعة (بيل). -الثقافة (في صورة الاستهلاك وأسلوب الحياة) هي التي تحدد الهوية بدلا من العمل.
السياسة، والحكومة، والدولة هم أساس المجتمع	الشك في السياسة، الحكومة التقليدية تنامي "سياسة الحياة"، أي الربط بين الشخصي والعام، كما في الحركات الاجتماعية مثل النسوية والنزعة البيئية.
الاتجاه إلى رؤية العالم في سياق ثنائيات أو شيئين متعارضين، مثلا: الموضوعي /الذاتي، ذكور/إناث، (أعداد معارضة)	الاتجاه إلى رؤية الترابط والتشابه والتوحد، مثلا: الذاتي والموضوعي لا ينفصلان.
النظر إلى الطبيعة على انه أمر مسلم به.	تزايد الإحساس القوي بالمسؤولية عن الطبيعة /البيئة.

المصدر:

مصطفى خلف عبد الجواد: مرجع سابق، ص: 150

المسائل الأساسية لما بعد الحداثة

إن النظرية ما بعد الحداثة [1] تحاول أن تتجاوز المدخل الثنائي (أو مدخل إما/أو) إلى البناء والفعل (الفعل الذاتي/المعنى) للنظريات البنائية والتأويلية. ومن المفيد أن نعرض في عجالة لبعض المسائل الامبيريقية التي تهم منظري ما بعد الحداثة وهي:

1. هل تمثل ما بعد الحداثة فترة يكون فيها ثمن –أي التدمير البيئي- أكثر أهمية من تحقيق مزيد من التقدم المادي؟
2. هل حلت قضايا الثقافة /المعرفة محل القضايا الاقتصادية والمادية كأحد الملامح المميزة لمجتمع ما بعد الحداثة ؟
3. هل حدثت العولمة بالفعل، أي يوجد رأي حاسم في ماهية قوى الاتصال التي أنتجت مجتمعا كونيا؟
4. هل تضاءلت أهمية المسائل الطبقية مقارنة بمسائل النوع الاجتماعي السلالة /العرق، والجنسية وغيرها من الأسس الأخرى للهوية؟

ويعكس الاختلاف في استخدام المصطلحات في جانب منه اختلاف تقييم التغيرات موضع الاهتمام بدلا من الاختلاف حول ماهية هذه التغيرات. ويرى جيدنز أن الانتقال من الحداثة المبكرة إلى الحداثة المتأخرة انتقال لا يستوجب تغيرا سياسيا في طبيعة المجتمع.

فالمقدرة على النقد الذاتي – التي كانت دوما ملمحا مميزا للمجتمع الحديث- أصبحت ببساطة أكثر قوة وأفضل صقلا بالخبرة في الحداثة المتأخرة. وهناك وعي متزايد بالأخطاء التي ارتكبت والدمار الذي وقع في مسيرة التقدم المادي. وعلى النقيض من ذلك نجد الذين يفضلون مصطلح ما بعد الحداثة على مصطلح الحداثة المتأخرة يعتقدون أن الفترة الحالية تمثل خصاما شديدا مع الحداثة، وبداية فترة تاريخية متميزة. ولذلك يقول: يصور مصطلح ما بعد الحداثة تصويرا دقيقا السمات المميزة للأوضاع الاجتماعية التي ظهرت في الدول الغنية في أوروبا وللأجيال الأوروبية في مسيرة القرن العشرين، وأخذت شكلها الحالي في النصف الثاني من هذا القرن.

ويصف بومان الاختلافين التوأمين اللذين يفصلان مجتمع ما بعد الحداثة عن مجتمع الحداثة على النحو الآتي:

- مجتمع ما بعد الحداثة متحرر من الوعي الزائف أو الأوهام المتفائلة للحداثة.
- مجتمع ما بعد الحداثة نمط من الأوضاع الاجتماعية التي بنيت على – أو تأسست بلغة بومان- على مجموعة كلية من الخصائص السلبية إلى حد كبير، مثل الدمار البيئي، وهي الخصائص التي لم تكن متوقعة أو لم يكترث بها في مرحلة الحداثة.

وإذ يرى جيدنز أن المشروع التحديثي لضبط التقدم لم يتحقق بعد؛ فإن بومان يؤكد على استحالة تحقيقه. يقترح جيدنز استخدام مصطلح الحداثة الانعكاسية لوصف المجتمع الغربي المعاصر.

[1] مصطفى خلف جواد، المرجع السابق، ص: 154

الشكل (1) يوضح خصائص الحداثة:

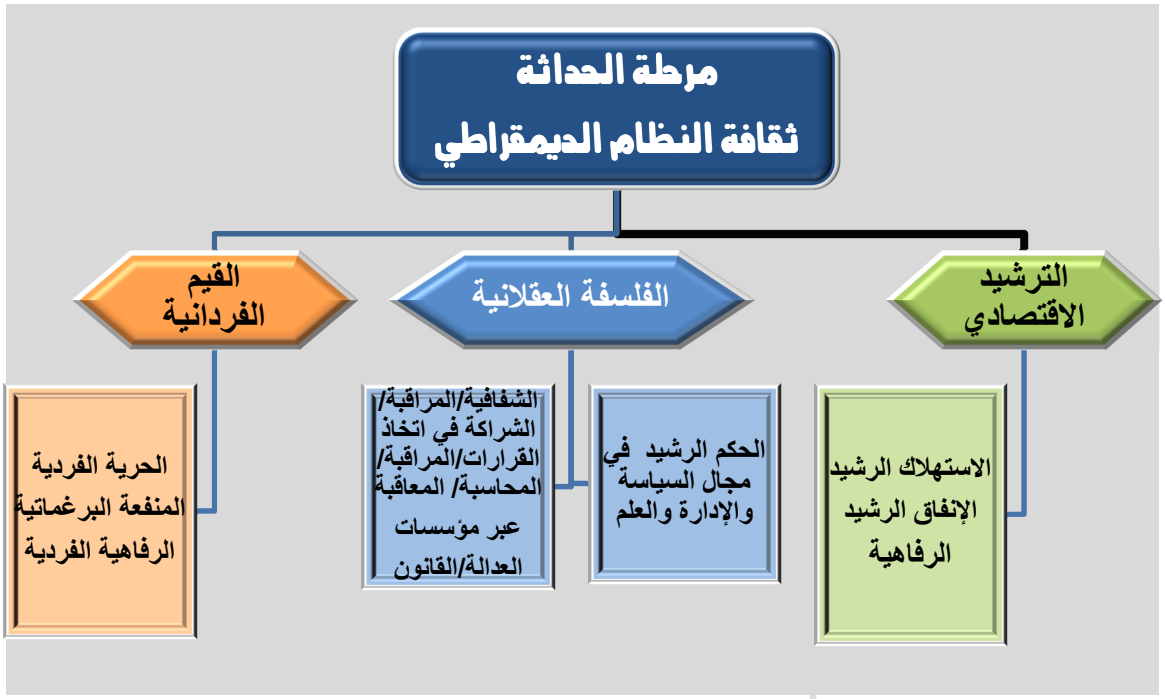

المصدر: إعداد شخصي

1. ما بعد الحداثة postmodrnity: بعد " التحديث " الذي يشير إلى شيء متصل ب "الحاضر"، وهي مشروعات ثقافية أو مجموعة وجهات نظر، وتستخدم في النظرية النقدية للإشارة إلى نقطة بدء أعمال أدب وعمارة وسينما وصحافة، وتسويق وتجارة، وتفسير تاريخ وقانون وثقافة، في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين[1]
2. فردانية (Individualism) فلسفة سياسية أو وجهة نظر اجتماعية تركز على فكرة الاستقلالية واعتماد الفرد على نفسه في اتخاذ قراراته، وتحقيق أهدافه ورغباته حتى إن عارضت مؤثرات خارجية اختياره الشخصي، سواء كان المجتمع أو الدولة أو مجموعة أخرى أو مؤسسة.
3. رأسمالية: (Capitalism) تسمى التمّول: نظام اقتصادي تكون فيه وسائل الانتاج مملوكة ملية خاصة أو لشركات، ويكون التوزيع والإنتاج والأسعار مرتبطة بالسوق الحرة والعرض والطلب، هي ثمرة تطور صناعي ونقلة نوعية لوسائل الانتاج المتخلفة في العصر الاقطاعي إلى وسائل متطورة في الثورة الصناعية.
4. عقلانية (Rationality) أي فكر يحتكم إلى الاستنتاج (أو المنطق) على أنه مصدر للمعرفة أو التفسير؛ أي المنهج الذي يتخذ من العقل والاستنباط معيارا للحقيقة بدلا من المعايير الحسية.

[1] كريغ كالهون، مرجع سابق، ص-467- 468

5. النّسوية (Feminism) وهي مجموعة مختلفة من النظريات الاجتماعية والحركات السياسية تحركها دوافع متعلقة بقضايا المرأة، والهدف النهائي هو القضاء على اشكال القهر المتصلة بالنوع الجنسي"ص468
6. وضعية (positivism) فلسفة علمية تستند إلى رأي يقول أن المعرفة الحقيقية في العلوم الاجتماعية، كما في العلوم الطبيعية، هي البيانات المستمدة من تجارب حسية ومعالجات منطقية ورياضية لها والعلاقات بينها التي يمكن التوثق منها عبر أبحاث وأدلة تجريبية[1]

ثانيا ⇐ أهم أنماط النظرية السوسيولوجية في عصر الحداثة وما بعد الحداثة

[1] كريغ كالهون، مرجع سابق، ص469

حيثيات أساسية حول مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة:

◄ أزمة علم الاجتماع وأزمة المجتمع:

➥ يقول: يان سبورك: "إني ألاحظ بنفس القدر أن الفكر السوسيولوجي القائم، والذي تحول إلى علم مدرسي ومهني وتطبيعي، قد أصبح أكثر فأكثر عاجزا عن فهم مجتمعنا وعن جعل الآخرين يفهمونه، في المقابل، إن الخطابات الاعتيادية والطقوسية حول أزمة علم الاجتماع وحول استحالة الاستدلال المعقول لم تقنعني أبدا ولم تؤثر علي وذلك لان جذريتها المزيفة ليست في العمق سوى عملية تكيف خاضعة لظروف الوقائع الاجتماعية التي لا يمكن فهمها ولم تعد إرادة فهمها واردة، وبالتالي يتم التكيف والتعامل معها كما لو أنها قدر محتوم"[1].

➥ فمنذ أن ظهر علم الاجتماع إلى حيز الوجود وهناك اختلافات جوهرية بين علمائه حول طبيعته ومناهجه وأهدافه القصوى...☜ إن إخفاق علماء الاجتماع في الوصول إلى اتفاق عام حول هذه القضايا غالبا ما كان يفضي بهم إلى استخدام تعبير **"الأزمة"** للدلالة على وجود تناقضات فكرية وتصورات متباينة لا تؤدي في نهاية الأمور إلى حصول اجتماع بين علماء الاجتماع حول تفسير الواقع الاجتماعي والإطار الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات.[2]...إن أزمة علم الاجتماع[3] ما هي إلا إسقاط مباشر عن أزمة مجتمع، عبر عنها البعض بأزمة الحداثة.

➥ فقد تميزت المرحلة التي أعقبت عملية تنويع المقاربات السوسيولوجية للعلوم (أي من 1980 إلى أيامنا هذه) بالإضافة إلى تعزيز هذا التنوع، بمجادلتين كبيرتين داخليتين، وهي مجادلات لها قيمتها ليس فقط من زاوية الاهتمام الأصلي صلب المسائل المبحوثة، وإنما أيضا من زاوية طريقة إظهارها للتوترات الراهنة المكونة لهذا الحقل الدراسي . والمجادلتان تركزتا حول التفسير المقبول للمبادئ التي أعلنتها دافيد بلور عام 1976: "التفكير الانعكاسي" و"التناظر". تجد المجادلة الأولى تعبيرها العلني في أعمال مؤتمر حررها س. فولغار عام1988: المعرفة والتفكير الانعكاسي. في حين إن الثانية تجد تعبيرا مماثلا في المؤلف الذي نشره أ.بيكرنغ عام 1992: العلم باعتباره مرانا وثقافة.[4]

---

[1] يان سبورك: مرجع سابق، ص:09.

[2] السيد الحسيني: **نحو نظرية اجتماعية نقدية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص:141.

[3] الفن جولدنر: **الأزمة المقبلة لعلم الاجتماع**، ترجمة وتقديم: علي ليلة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004، 517.

[4] – ميشال دوبوا: **مدخل إلى علم اجتماع العلوم والمعارف العلمية**، ترجمة سعود المولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى بالعربية 2008، ص ص: 96-97.

معضلة الثنائيات في مواجهة المعرفة العلمية الحديثة[1]:

لأن المعرفة العلمية تصنع وتبنى وتنتج، فيعني ذلك بالضرورة جملة من الثنائيات تقوم المعرفة عليها:

- معرفة علمية – معرفة غير علمية
- لغة علمية – لغة غير علمية
- مفاهيم علمية – مفاهيم غير علمية
- حقيقة علمية – حقيقة غير علمية
- خطاب علمي صحيح – خطاب علمي خاطئ

وتعني هذه الثنائيات أن المعارف، واللغات، غير المعرفة العلمية الحديثة ولغتها، هي معارف ولغات غير علمية. وعلى هذا الأساس، قامت المواجهة، بعد القرن الثامن عشر، بين طرفي كل ثنائية من تلك الثنائيات، وتتخذ هذه المواجهة شكل الأسئلة التالية:

- من يقول، ويحكم، بأن المعرفة العلمية الحديثة المعاصرة، بعد القرن الثامن عشر، عي المعرفة العلمية الوحيدة الممكنة، ولا معرفة غيرها؟
- ومن يقول، ويحكم، بأن لغة العلوم الحديثة، بعد القرن الثامن عشر، هي اللغة العلمية الوحيدة الممكنة، ولا لغات علمية غيرها؟
- من يقول، ويحكم، بأن القسمة التي يقدمها خطاب العلوم الحديثة، بعد القرن الثامن عشر، بين ما هو صحيح وما هو خاطئ علميا، هي القسمة العلمية الصحيحة؟

خلاصة عامة

يتركز اهتمامات فكر النقد ما بعد الحداثي حول مناقشة المعطيات الانعكاسية التي أفرزتها المراحل السابقة من التقدم الاجتماعي، تحت لواء وقيادة النموذج الليبرالي الرأسمالي خاصة. حيث هي المؤشرات الدّالة على حدود الفكر الإنساني وحدود مقدراته العقلية ومهاراته النفسية والاجتماعية في إبداع ما يجعل الحياة مفعمة بالسعادة والمثالية والراحة والرفاه، التي يروم إليها ممكنة ومستدامة.

إن الانعكاسات المنكسة لأحلام البشرية ومخلفاتها البائسة تدعو المفكرين، من كل حدب وصوب، لمراجعة مسألة ومقدار الثقة في قدرات وطلاقة الفكر العقلاني الرشيد في المرحلة الوضعية من مراحل تطور الانسانية.

لقد شكلت الحرب العالمية الأولى نقطة البداية، كما تشكل اليوم بؤر الاضطرابات في المناطق الملتهبة والمتوترة في العالم، إنذار عالمي لتفادي أزمة عالمية ناجمة عن سوء التقدير البشري لمكناته العقلية وممكناته التكنولوجية ونّواياه المُبلطة بمشاريع عولمية.

---

[1] عبد الله ابراهيم: **الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، دراسة في فلسفة العلوم (الابستمولوجيا)**، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، 2010، ص128.